كتاب معالي الهمم في التصوف

تأليف للشيخ الفاضل الكامل شيخ الطريقة
والحقيقة ابي القاسم الجنيد بن محمد البغدادي

رحمه الله، ورضي عنه
آمين

بسم الله الرحمن الرحيم رب انعمت فزد

الحمد لله الذي اعلى همم اصفيائه الى وصاله، ورفع افكار احبابه
الى بهائه، وملأ صدور اوليائه من نور جماله، احمده حمد
من لا يرى منه بديلا، ولا عنه تحويلا، ولا سواه كفيلا، ولا
دونه هاديا ودليلا، فنشهد ان لا اله الا الله، وحده
لا شريك له الذي طابت بذكره ارواح المريدين، ويعلم
ما في ضمير الصامتين، ويرى احتراق قلوب المحبين، ويعرف
طول الايام على المشتاقين، ولا يحجب عن قلوب الواصلين

ويطلع

ويطلع على معالي همم العارفين، ونشهد ان محمدا عبده
ورسوله وصفيه ونجيه ووليه وحبيبه وخيرته من
خلقه الذي جاء الحق بمجيئه، وزهق الباطل بظهوره،
واشرقت الارض بنوره صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا،
اما بعد معاشر اخواني واهل عنايتي نبهكم الله وايانا
من نومة المتنبهين فكيف عن نومة الغافلين وانا ما خفا
عن الصديقين فكيف عن البطالين، واعلموا ان كل منتبه نائم
الا الصديقين، وكل صديق مغرور الا اهل الهمة من العارفين
واني لما قد نظرت الى اهل ولاية الله سبحانه وتعالى في زماني
هذا فاذا اكثرهم جاهلون حتى عن مقدار انفسهم وعن عرفان
قدرهم، وهمتهم عند ربهم غافلون، عن رؤية حسن عناية
الله، وكمال توده لهم، وعما خصهم الله بمعرفته واختارهم لصحبته

وعمّايدعوهم الى قربه منه والانس به حتى صاروا يتيهون في

العوايق والمنازل واقمين عزمنا القلوب والحبيب الاكبر دوني محجوبين

وفي اودية العزة والحسبان يتيهون وفي ظلمات التمني والتعاليق

يتحيرون حتى صار معبودهم النفس والهوى وهم لا يشعرون

وحتى خمدت من قلوبهم هيجان رغبة القصد الى رب العالمين

عند صدق الاجابة له من ضعف اليقين وخساسة الهمة

وسوء الظنون بالله عز وجل حملني على ان اصنف كتابا في معالي

الهمة بعون الله تعالى وتوفيقه ليقف عليه المريدون ويتدبر به

المنيبون ويتهذب به المجون رحم الله امراء نظر بعين الحرمة

فيما ذكرنا في هذا الكتاب من معالي الهمة وشرفها وان لا يتكلم

بها عند من لا يبلغ اليها عقولهم لانه قل وجود من كان اهلها

وقيل ما سلك طريقها وقل ما يساعده فيها وقل من يعرب من

ابت

ابت ايهاها بكمال محلها وعزها وعظم شرفها بارك الله لنا ولكم

في تاليفي هذا ونساله التوفيق على ما يحب ويرضى ونستعينه

على الصواب وعليه التكلان فانه ذو الفضل والاحسان

والقدرة والامتنان والعطا والغفران والمغفرة والرضوان

وفي هذا الكتاب عشرة ابواب

الباب الاول في درجات الهمة

واجناس الناس فيها قال ابو القاسم العارف رضي الله عنه

اعلموا معاشر الربانية ان للقلوب اجنحة تطير بها الى مرادها

على قدر صحتها فكما ان كل طير يطير نحو مقصوده ومطلوبه

على قدر جناحه وقوة ريشه وصحة بدنه فلا يستريح من

طيرانه الى ان يبلغ الى غاية مراده فلذا بلغ اليه وقف عنده

ونزل عليه ولا يجاوز عنه فذلك كل انسان يطير باجنحة

فمن اهل الحرف همته لا تتعدى همته حرفته

الهمة نحو مقصوده ومطلوبه على قدر همته وقوة يقينه
وصحة ارادته وكمال مروته ولا يستريح من طيرانه حتى يبلغ
الى غاية مراده فاذا بلغ اليه وقف عنده ونزل عليه فلا يجاوز
عنه قال الله تعالى قل كل يعمل على شاكلته اى على قدر همته
فعلى قدر همة العبد يكون قدره وهمته عند ربه تعالى فكل
من كانت همته الدنيا فى جميع الارادات والحركات فهو مع القيمة
وكل من كانت همته عقباه فى جميع الارادات والحركات فهو مع
القيمة وكل من كانت همته مولاه فى جميع الارادات والحركات
فلا نهاية لقيمته وقدره ومنزلته عند ربه فكل صنف من
هذه الثلاثة دعاءهم وتضرعهم وابتهالهم الى الله تعالى على
قدر ما غلب عليهم من مرادهم وقصدهم اليه فرب قلب غلب عليه
ارادة نعيم دنياه فصار عاشقا لها ولا يتفرغ من معشوقه الى
غيرها

غيرها فلا يزال يدعو ويتضرع الى الله تعالى ويسأل مراده
منها بالحقيقة وما سوى ذلك يسأله على سبيل العادة
والمولى تعالى يوصله اليها على مقدار عمله ورب قلب غلب
عليه ارادة العقبى وما اعد الله عز وجل لاهلها
من النعيم والحور والقصور فصار عاشقا لها ولا يتفرغ من
معشوقه الى غيره فلا يزال يدعو ويتضرع الى الله تعالى
ويسأله مراده منها بالحقيقة وما سوى ذلك يسأله على
سبيل العادة والمولى تعالى يوصله اليها على مقدار عمله
لها ورب قلب غلب عليه ارادة مولاه ومحبته له وصحة
ارادته وطال اشتياقه اليه فصار محترقا بحبه طامح البصر
نحو لقائه مستقيما على طريق عهده ووفائه طالبا الطريق
قربه ورضاه لا يتفرغ من محبوبه الى غيره فلا يزال يدعو

ويتضرع الى الله تعالى ويسأل منه بلا واسطة بالحقيقة وما
سوى ذلك لا يسأل عنه ولا يلتفت الى سواه اجلالا لحرمته
ومعالى همته وانفراده به والمولى تعالى لا يقطع امله بل يوصله
الى قربه على قدر همته ثم انت يا اخى بالاختيار بين هذه
الثلاثة ان اردت من المولى الدنيا فاعلم انها مقسومة مفروغة
وقد فرغ من تقديرها وتدبيرها لا يزيد بكسب الكاسبين
وجهد الجاهدين وحرص الراغبين ولا ينقص بزهد الزاهدين
وعبادة العابدين وان اردت من المولى سبحانه وتعالى العقبى
يعطيك مناك على قدر حسن عملك بها فمتى ما زدت فى الدعاء
والتضرع والابتهال اليه يزيد لك التوفيق فى صالح الاعمال
وفى ما يوصلك العقبى ودرجاتها ونعيمها على مقدار اجتهادك
فى العبادة الا انه ما دام نزولك على ثواب الاعمال يحجبك عن

القرب

القرب من الله تعالى والوصال ويحرمك من لذائذ الانس
والاقبال الى الفرد الكبير المتعال وان اردت من المولى عز وجل
انسه وقربه فلا تلتفت منه الى غيره اجلالا لحرمته يوصلك
اليه ويقربك منه ويريك بما تقر به عينك فتعالى لك
ما يطيب به قلبك ويطلعك حيث ما يغيب عنه غيرك
ويسوغ لك ما يطيب به قلبك ميدان الافتخار به وينزلك
على فرش الانتقال اليه والاشتغال به ويسلك بك طريق
الانفراد به ويسهل لك عقبة الاحتمال فيه ثم بعد ذلك
تأتيك حالات لا يصفها واصف غيره ثم ان الله تبارك
وتعالى وتقدس ذكر فى كتابه نعت هذه الثلاثة قوله
تعالى ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم
ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله

معناه فمنهم من رجع منى بالدنياء ومنهم من رجع منى بالعقبى
ومنهم من لا يرجع منى بالدارين وبكل ما فيهما وايضا معناه
فمنهم من استقام على طريق التوحيد والمعرفة ثم اضطرب فى
طريق الطاعة والخدمة ثم دنس نفسه بالذنوب والمعصية
برؤية خلقة التوحيد والمعرفة وعاش فى الدنيا على الجهل
والغفلة فهو على خطر عظيم الا ان يرحمه ارحم الراحمين
ومنهم من استقام على طريق صدق العبودية ثم اضطرب
على طريق صفاء ذكر المنة برؤية حسن المعاملة وعاش فى
الدنيا على الحسبان والعزة الى ان يصل الى الحساب والمعاتبة ومنهم
من استقام على طريق العبدية والانس والصحبة فاشرق
قلبه على عرفان موارد الحضرة برؤية حسن العناية الازلية
السرمدية وعاش مع الله تعالى بلا غفلة الى ان يصل الى
الرؤية

الى الرؤية والمشاهدة وايضا معناه فمنهم من اكتفى من المولى
بالدنياء ومنهم من اكتفى من المولى بالعقبى وصل الى الدنيا والعقبى
واحتجب برؤية الدنيا والعقبى عن المولى تعالى وكل من اكتفى
من المولى بالمولى ووصل الى المولى انسه وقربه الى الابد وخدمته
الدنيا ويؤيد هذا ما روى فى الاخبار ان الله تعالى اوحى الى
داود النبي عليه السلام ان يا داود من اكتفى بنا عما لنا كنا له ومن
لم يكتف بنا بما عمالنا فلسنا له ولا مالنا ثم قال الله تعالى
لصفيه محمد صلى الله عليه وسلم اولم يكف بربك انه على كل
شيء شهيد وقال ابو القاسم العارف رضى الله عنه

كفانى اننى عبد ضعيف ** لغفار وستار لطيف
وليس الفخر لى سفها وعارا ** اذا كان افتخارى باللطيف
ولا شيئا من الاشياء احلى ** واطيب من مؤانسة اللطيف

ولا ارضى سوى الحبيب منيلا ** ولا شيئا سوى وجه اللطيف

افهموا معاشر الربانيين ما ذكرنا من درجات الهمة واصناف
الناس فيها واعلموا ان الله تعالى عوض من كل شئ شيء
وليس شئ عوضا عنه وهو الحاصل فى الدارين وليس شئ فيها
حاصلا غيره قال الله تعالى ثم ذرهم فى خوضهم فان وقفتم (قل الله)
على ما ذكرنا والا سافسر عليكم على لسان احسن منه وعبارة اشرف
منه فان نظرت فيه وفقت ان شاء الله تعالى تمت

الباب الثانى فيمن اكتفى مع المولى من الدنيا والعقبى

قال ابو القاسم العارف رضى الله عنه اعلموا معاشر الربانيين
ان لله عبادا تركوا ارادة حظ انفسهم من الدنيا ومن العقبى
للمولى جل جلاله ثم رؤية الترك حتى لم يبق لهم حظ من الدارين
واكتفوا بحبيبهم وانيسهم وقرة اعينهم بلا التفات منه الى
ما سواه ابد الابدين واعلموا ان اصل فراغ القلب من شغل
الكونين

الكونين هو ترك الارادة من حظ الدارين واصل الاكتفاء
بالمولى تعالى هو ترك الاشتغال بالدنيا والعقبى من تعلق بالدنيا
بقى عن العقبى ومن تعلق بالعقبى بقى عن المولى ومن تعلق
بالمولى وجد المولى وخدمته الدنيا والعقبى بكل ما فيهما
قال الله تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه
ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له فى الآخرة
من نصيب وكذلك روى فى الاخبار ان الله تعالى لما
خلق الخلق وعرض عليهم الدنيا بكل ما فيها فتعلقوا بها من
كل الف تسعماية وتسعة وتسعون فرقة وبقى منهم فرقة
واحدة ثم خلق الجنة وعرض على من بقى منهم فتعلقوا بها
من كل الف تسعماية وتسعة وتسعون فرقة فبقى منهم فرقة
واحدة ثم نودى لمن بقى ما تريدون اذا لم تتعلقوا بالدنيا ولا بالعقبى

قال
فقالوا باجمعهم يا سيدنا ومولانا انك تعلم ما نريد فنودى
ان كنتم تريدونى صببت عليكم البلايا صبا لا تحملها سموات
ولا ارضين امتحانا فان صبرتم معى واكتفيتم بى عمالى اوصلتكم الى
واذ قتلكم لذائذ انسى ورفعت عنكم الحجب حتى تنظروا الى عظم
جلالى فقالوا باجمعهم يا قرة اعيننا افعل بنا ما شئت فانت
اولى بنا وكذلك روى ان على ابن ابى طالب رضى الله عنه
قال يوما لابى بكر الصديق رضى الله عنه باى شيئ بلغت الى
ما بلغت حتى سبقت علينا سبقا قال بخمسة اشياء اولها حين
دخلت فى الاسلام فوجدت الناس صنفين طالب الدنيا
وطالب العقبى وكنت انا طالب المولى والثانى مذ دخلت فى
الاسلام ما وجدت لذة فى الدنيا الا لذة ذكر الله تعالى وحلاوة
خدمته وسرور معرفته شغلنى عن لذائذ الدنيا كلها
الثالث

الثالث مذ دخلت فى الاسلام ما شبعت من طعام الدنيا
وما رويت من شرابها من خوف نزع المعرفة وهم فراقه والرابع
ما استقبلنى امران امر فيه رضوان الله وامر فيه رضى نفسى
وحظها الا اخترت رضاه على رضاء نفسى وعلى كل من سواه
والخامس صحبة النبى صلى الله عليه وسلم على حسن الصحبة
وحفظ الحرمة حتى فارق الدنيا صلى الله عليه وسلم فبكى
على رضى الله عنه ثم قال هنيئا لك يا ابا بكر وحكى ايضا
ان على بن ابى طالب رضى الله عنه دخل يوما مسجد رسول
الله صلى الله عليه وسلم فرأى اعرابيا فى زاوية المسجد
وهو يدعو ويتضرع الى الله عز وجل ويقول الهى اعطنى شويا
ولا اريد منك غيره واكتفى منك بها وانت اجل من ان تخيب
رجاء من الى اليك طامعا او تردد من بابك سائلا ثم رأى

ابا بكر الصديق رضي الله عنه في زاوية اخرى من المسجد وهو
يدعو ويتضرع الى الله عز وجل ويقول الهي اريدك فاهدني
ورضيت منك من الدارين فاقبلني ولا تقطع املي فيك يا سيدي
ومولاي فبكى علي بن ابي طالب رضي الله عنه بكاء شديدا ثم
وقال شتان ما بين الهمتين واحد يشتهي شويا وواحد يشتهي
الها وحكي ان ابا يزيد البسطامي رضي الله عنه سمع قاريا يقرأ
هذه الآية منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الاخرة فبكى بكاء
شديدا وقال هذه من الله شكاية على عبيده فكانه يقول ومنكم
من رضي عني بالدنيا ومنكم من رضي بالعقبى فاين من رضي عني
وعمالي واكتفى بي عمالي الكون له سمعا وبصرا وقال ابو عبد الله
لابنه وهو يعظه يا بني اتخذ الله جليسا وانيسا والزم ذكر مولاك
وخدمته تأتيك الدنيا وهي راغمة وتطلبك الآخرة وهي عاشقة

يابني

يا بني من عرف الله بكنهه لا يختار عليه جليسا سواه يا بني
من استأنس بالله استوحش ممن شغله عن مولاه وقال ايضا
من عرف الله حق معرفته لا يشتغل منه بالدنيا ولا بالعقبى
لأن الدنيا والعقبى بر المولى والمولى احب على العارف من بره
وقال ان الله تعالى اعطاك معرفته ووفقك لطاعته من
غير شيء سبق منك ولا شفاعة لك فينبغي لك ان تشتغل
بذكره وخدمته من غير ان تلتمس منه عوضا عليه الى المقابلة
وقال ابو عبد الله الباجي ادنى مراتب العارف ان يمر على الماء
والهواء واوسطها ان يمر على الدارين من غير ان يلتفت منه
اليهما واعلاها ان يصير كما كان حيث لم يكن التكوين وهو الحق
بلا كون عز وجل كما كان في الازل وقد قال ابو عمر بن ابي سلمة
الناس يبكون على الدنيا وانا استحي من الله ان ابكي بكاء

على الآخرة ، وقال ابو سليمان الدارين رضى الله عنه ما يسرنى
ان يكون لى الدنيا منذ خلقها الله تعالى الى ان تفنى وكنت انعم
فيها بغير حساب ولا عذاب ثم انها تشتغلنى عن الله طرفة
عين ، قال فعرضوا هذه المقالة على رابعة البصرية فقالت
رابعة ما يسرنى ان يكون لى العقبى بكل ما فيها فكيف الدنيا
وقال ابو عبد الله البناجى رحمه الله لا يستاثر الجنة العارف
بكل ما فيها فى جنب معرفته فكيف الدنيا بكل ما فيها وقال
شيخ المشايخ رضى الله عنه بينما انا فى المسجد الحرام فاذا انا
بشاب عليه ازار خلق رأيت عليه اثر الجوع والضر فترحمت
عليه واخذت كيسا فيه مائة دينار ودنوت منه وقلت
يا حبيبى اجعل هذا فى بعض حاجاتك فلم يلتفت الى
فالححت لحاحا كثيرا فاقبل الى وقال يا شيخ هذه حالات

لا ابيعها

لا ابيعها بالجنة بكل ما فيها وهى دار الجلال ومعدن اللطف والقرار
ومحل البقاء فكيف ابيعها بثمن خسيس وعوض بخس ردى
وقال بعضهم من وافى الله عز وجل باكثر من قدر الجنة بكل ما فيها
وهى المعرفة فكيف يشتغل بالدارين بكل ما فيهما وحكى ان
رجلا من العارفين صلى على ميت فكبر خمس تكبيرات فقيل
له عن ذلك الحال فقال كبرت اربعا على الميت وواحدة على
الدارين بكل ما فيهما ، وقال ابو سليمان الدارانى رحمه الله الان
الناظرين الى الله عز وجل لا الى غيره ذهبوا بصفوة الدارين
واكثرهم عن هذا غافلون وعن مراتبهم جاهلون واشتغلوا
بارتفاع حظهم من الله تعالى فى الدارين وقال بعض المشايخ
ايا طالب الدنيا دع الدنيا تطلبك ويا طالب العقبى اولم يكف
بربك انه على كل شئ شهيد قال الشاعر

الٰهی کنت فی البلوی ٭ ولا شکوی من البلوی ٭ مرادی أنت یا مولای
بلا منّ ولا سلوی ٭ فان اعطیتنی الدنیا ٭ وان اعطیتنی العقبی
فلا ارضی من الدارین ٭ الا رؤیة المولی ٭ وقال ایضا
ترکتُ للناس دنیاهم ودینهم ٭ شغلاً بحبّك یا دینی ودنیای

الباب الثالث فی غیرة الله سبحانه وتعالی علی اهل اصفیائه واهل قربه من المحبین

قال ابو القاسم العارف رضی الله عنه اعلموا معاشر الربانیین
ان الله تعالی مطّلع علی اسرار المحبین ومطّلع علی همم العارفین
فاذا احبّ عبداً من بین عبیده وخصّه لنفسه واختاره لصحبته
غار علیه علی قدر حبّه له وقربه منه اشد الغیرة منکم علی محارمکم
فان نظر الیه یوماً ویری فی قلبه موضعاً لغیره والتفت منه الی
ما سواه عاتبه وصیّر ذلك الشیء بلاء علیه فینبغی لکل من وضع
قدمه

قدمه علی بساط قربته منه ان یحفظ حرمة اجلاله حتی
لا یسقط عن بساطه وان الله تعالی قال لصفیه محمد علیه
السلام لا تمدّنّ عینیك الی ما متّعنا به ازواجاً منهم الآیه
ثم منّ علیه بما عصمه الله تعالی حتی لا ینظر الیهم قوله تعالی
ولولا ان ثبّتناك لقد کدت ترکن الیهم شیئاً قلیلاً ای قرب
ملك الیهم ثم مدحه بترکه الالتفات منه الی ما سواه وحفظه
علی الاداب علی بساط القرب منه قوله تعالی ما زاغ البصر
وما طغی فاذا لم یلتفت منه الی غیره قال له یا محمد تعال وانا ارفع
الحجاب من بینی وبینك حتی تنظر الیّ بلا کیف قال الله عز وجل
ما کذب الفؤاد ما رأی ولقد رآه نزلة اخری الآیه وسمع واحد
من العارفین قاراً یقرأ رب ارنی انظر الیك فقال لو انّ سؤال
موسی علیه السلام علی صدق هیجان نیران الاشتیاق وحیث

يقول رب ارنى انظر اليك، فلو اماته الف مرة ثم احياه فيقول
فى كل مرة رب ارنى ولم يرجع عن مقالته منه الى الابد ولا التفت
منه الى الجبل ولا الى غيره، ويروى عن النبى صلى الله عليه وسلم
انه قال اتانى جبرائيل عليه السلام بمفاتيح خزائن الدنيا، فما
التفت اليها، وما قبلتها حرمة لاجلاله، وحكى ان سرى السقطى
قال كنت فى طلب صديق ثلاثين سنة فلم اظفر به، فمررت يوما
من الايام فى بعض الجبال فاذا هو قائم على صخرة فدنوت منه
واخذت ذيله فقال خل ذيلى يا سرى فان الحبيب غيور فلا يراك
ان تأنس بغيره فتسقط من عينه، وكذلك حكى ان ابا عبد الله
رحمه الله قال كنت فى بعض سيرى فاذا انا باناس قد اجتمعوا
عند بعض الجبال منتظرين، فقلت لهم فيم انتم قالوا ننتظر رجلا
من البدلاء يخرج فى كل سنة من وسط هذا الجبل مرة ويدخل اخرى

قال

قال فما لبثت ساعة ان جاء الرجل وعليه مسوح وفى وجهه سيماء
العارفين، فدنوت منه قبل ان يدخل فى وسط الجبل واخذت بكمه
وقلت من انت رحمك الله، فقال دعنى فانه غيور ونزع المسح
من يدى ومضى، وكنت انظر خلفه حتى غاب عنى، وحكى ان ابا يزيد
البسطامى رحمه الله قال مذ ثلاثين سنة عرض على الجنة
بما فيها فما نظرت اليها طرفة عين اجلالا لله عز وجل ويوما من
الايام نظرت الى بعض الجوار فاحرمت الفائدة عشرة ايام وقيل
لبعض اهل المعرفة كيف اصبحت قال اصبحت وقد اباح لى الكونين
ومنعنى ان انظر اليهما، وحكى ان رجلا كان لا يلتفت يمينا وشمالا
ولا ينظر الى احد قط، فقيل له فى ذلك فقال من شرب شربة من كأس
صرف محبته لا يحب الالتفات منه الى غيره، وكان يوما من الايام يطوف
حول الكعبة فدعاه واحد فاراد ان يلتفت اليه فسمع صوتا يقول

من التفت منا الى غيرنا فليس منا فصاح الرجل صيحة وغشى عليه
وحكى ان واحدا من العارفين كان يمشى فى البادية ولم يكن معه
زادا ولا راحلة فكان يوما من الايام حدثته نفسه ببعض الحاجة
فبلغ الى بير ومعه ركوة فرمى بها فى البير فاذا هى مملوة من دنانير
واذا بهاتف يقول اذا اردت غيرنا فارتحل من قربنا وهاك الدنانير
ففزع فزعا شديدا ثم رمى بها فى البير وقال يا عزيزى ويا قرة
عينى اعوذ بك منك من كل ارادة سواك وحكى انه كان لفتح الموصلى
صبى فيوما من الايام عانقه وقبله فنودى من الهوى ان يا فتح ادعيت
محبتنا وفى قلبك حب غيرنا فصاح صيحة وخر مغشيا عليه وحكى
ان رابعة البصرية اتت رياح القيسى وهو يقبل صبيا من اهله
فقالت اتحبه فقال نعم قالت ما كنت احسب ان فى قلبك موضعا
فارغا لمحبة غير الله تعالى قال ففزع رياح القيسى فزعا شديدا
حتى

حتى غشى عليه من هيبة مقالتها ثم افاق وهو يمسح
العرق عن جبينه وحكى ان على ابن ابى طالب رضى الله
عنه كان يوما قد اجلس الحسن رضى الله عنه على احدى
رجليه والحسين على اخرى فكان ينظر اليهما ويقبلهما
فقال له الحسن يا ابت انى اراك تحبنا فقال اجل يا بنى
قال يا ابت اما تستحى من الله ان ينظر الى قلبك فيرى فيه
حبا لغيره فبكى على ابن ابى طالب كرم الله وجهه بكاء
شديدا من مقالته ثم قال وما الحيلة يا بنى قال الحسن
رضى الله عنه يا ابت الحب لله والشفقة علينا لان من
احب الله حبا صافيا لا يشرك معه سواه وحكى عن فتح
الموصلى انه قال كان لى ابن فوقع فى قلبى محبة له ففترت ليلة عن
وردى وذهب نشاطى فى التلاوة ولا اجد لذيذ المناجات

كما اجد من قبل ذلك فجلست استغفر الله وما شعرت
من اى شئ هذه الفترة فغلب عيناى النوم فنمت فاذا انا
بهاتف يقول يا فتح هذا فعلنا بمن ادعى محبتنا ومال الى
غيرنا وفى قلبه موضع لغيرنا فقلت يا حبيبى وقرة عينى
انما اردت لعله يخلفنى فيطيعك بعدى فان كنت انى
صادق فخذه اليك الساعة قال فانتبهت من صياح
والدته وقد قام ليبول فسقط فى البير شعرا

يا حبيب القلوب من لى سواكا * طال شوقى متى يكون لقاكا
يا انيسى ومنيتى ومرادى * كذب القلب ان احب سواكا

الباب الرابع فى قوة العارفين مع الله عز وجل

قال ابو القاسم العارف رضى الله عنه اعلموا معاشر الربانيين
[وبنيه صح]
ان ادنى منزلة اهل الفتوة هى ان يقول مرة الله فى حينه

كل

كل ما سواه كاصحاب الكهف اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات
والارض وليس فى فكرهم ولا فى خواطرهم جنة ولا نار ولا دنيا
ولا عقبى ولا نفس ولا خلق ولا عرش ولا كرسى سوى الله
عز وجل فعند ذلك سماهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى
فيا عجبا ممن عرف مولاه ووجدانه وقربه باى شئ يشتغل
هذا واى همة واردة لا تتلاشى فى جنب قربة ام كيف يطلب
بذلك منه عوضا وثوابا فهل يكون ذلك الا خساسة فى
الهمة وقلة فى المعرفة وهل يكون لباسا احسن من لباس
التقوى ام هل يكون تاجا اعلى من تاج الاسلام ام هل يكون
لواء احلى من لواء المعرفة ام هل يكون بساطا اشرف من بساط الطاعة
ام هل يكون نزهة احسن من نزهة الافكار والعبرة ام هل يكون
فرحا وسرورا افضل واحلى والذ من الوصلة والقربة قال الله

تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خيرٌ
مما يجمعون، واعلموا انّ لله خصائصًا من اصفيائه عبدوه
خالصًا لوجهه ومحبّته وشوقًا اليه فروى فى الاخبار ان شعيبًا
صلوات الله عليه وسلامه بكى حتى ذهب بصره ثم ردّ الله بصره
الى ثلاث، فاوحى الله تعالى ان يا شعيب ان كان بكاؤك من
خوف النار فقد امنتك من النار وان كان بكاؤك من اجل الجنة
فقال يا ربّ لا للجنّة ولا خوفًا من النار ولكن لاجلك، وحبًّا
لك وشوقًا اليك، فاوحى الله اليه ان يا شعيب فليس لدائك
دواء دون لقائى ابك ثم ابك، فانى واحد عزيز ليس لك فى الدارين
غيرى ولا لدائك دواء سواى، ولا لك راحة دون لقائى فلهذا
قال النبى صلى الله عليه وسلم لا راحة للمومن دون لقاء الله عزّ وجلّ
وحكى انّ نبيًّا من الانبياء لقى طائفة من العباد فقال على اى شئ
عبدتم

فقد اوجبت لك الجنّة صح

عبدتم الله عزّ وجلّ فقالوا سمعنا ان الله تعالى خلق الجنّة
والنّار فنحن منها فى شغلٍ شاغلٍ وجهد جاهد وتعبٍ طويل
ونحن نوصل الليل بالنهار والنهار بالليل رجاءً الى الجنّة
وخوفًا من النّار، فقال لهم انتم معاشر العباد تعملون على امرٍ
لسنا نعمل عليه انتم تعملون على رجاء الجنّة وخوفًا من النّار
ونحن نعمل على محبّة الله تعالى وشوقًا اليه، وروى فى الاخبار
انّ عيسى عليه مرّ بنفر من النّاس وقد نحلت ابدانهم وتغيّرت
الوانهم فقال ما الذى بلغ بكم ما ارى فقالوا الخوف من النّار
فقال حقًّا على الله ان يومن الخائف ثم مرّ حتى بلغ الى نفر آخر
فاذا هم اشد من اولئك فى نحول الابدان واشد فى تغير الالوان
فقال ما ذا بلغ بكم ما ارى فقالوا الشوق الى الجنان فقال حقًّا على
الله ان يعطيكم ما رجوتم، ثم مرّ حتى بلغ الى نفر ثالث فاذا هم اشد

نحول الابدان من اولئك الاولين واشد تغييرا في الالوان وكان
على وجوههم اثر من النور فقال لهم ماذا بلغ بكم ما ارى قالوا الحب
والشوق الى الله تعالى فقال لهم عيسى عليه السلام انتم المقربون
انتم المقربون انتم المقربون ثلاث مرات وحكى عن محمد بن صباح
قال بلغنا انه اذا كان يوم القيمة فيؤتى باهل ولاية الله تعالى
فيوقفون بين يديه وهم يكونون على ثلاثة اصناف فيؤتى
بالصنف الاول فيقول الله تعالى لكل واحد منهم عبدي
لماذا عملت فيقول يا رب خلقت الجنة وما فيها من النعيم فاسهرت
ليلي واظمأت نهاري شوقا اليها فيقول عبدي انما عملت للجنة
فلك الجنة ومن فضلي عليك ان اعتقك من النار ثم يؤتى
بالصنف الثاني ويقول لكل واحد منهم عبدي لماذا عملت فيقول
يا رب خلقت النار وما فيها من العذاب فاسهرت ليلي

واظمأت

نهاري خوفا منها فيقول عبدي انما عملت خوفا من النار وانا
اعتقك من النار ومن فضلي عليك ان ادخلك جنتي ثم يؤتى
بالصنف الثالث فيقول لكل واحد منهم عبدي لماذا عملت فيقول
يا رب حبا لك وشوقا اليك فيقول عبدي حقا حقا يقول
ارفعوا الحجاب عن حبيبي وانيسي فانه قد طال شوقه الي
واني لاشد شوقا اليه فلما رفعوا الحجاب عنه فيقول له الرب
عز وجل السلام عليك يا صفي وخيرتي بين خلقي ها انا لك
ابد الابدين وعزتي وجلالي ما خلقت الدارين الا من اجلك وما
خلقتك الا من اجلي فلك اليوم ما تمنيت واشتهيت مع لذائذ
عين وسرور قلبه وان جميع لذائذ اهل الجنة وسرورهم ابد الابدين
في جنب سرورك ولذتك لي اقل من خردلة بين السماء والارض
وحكي عن يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله تعالى قال بلغنا انه

اذا كان يوم القيمة نادى منادٍ من العرش الا من عبد معبودا فليمضوا

على اثره يمضون عبدة الاصنام وسائر المشركين على اثر معبودهم

حتى يصلوا الى النار وذلك قوله تعالى انكم وما تعبدون من

دون الله حصب جهنم الآيه ولذا جميع العباد والزهاد وغيرهم

من طلاب الجنة يمضون على اثر اعمالهم حتى يصلوا الجنة وذلك

قوله تعالى وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا الآية ثم تبقى

فرقة من الربانيين واهل الهمة العالية فيقال لهم من انتم ومن معبودكم

ومطلوبكم لم لا تمضون على اثره فيقولون مطلوبنا غير ما ظننتم فقال

بمن يشبه مطلوبكم فيقولون لا شبيه له ولا نظير له فيقول الله

عز وجل دعوا الكلام وارفعوا الحجاب عن اوليائي واحبائي فاني

طال ما رأيت خفقان قلوبهم من شوقي ثم يقول اصفيائي هلموا

الى زيارتي فهذا يومكم الذى كنتم توعدون قال الله تعالى

وجوه

وجوهٌ يومئذ ناظرة الى ربها ناظرة وحكى ان ثابت البنانى ومالك

ابن دينار دخلا على رابعة البصريه زائرين لها فقالت لمالك

اخبرني لماذا عبدت ربك فقال رجاء الجنة ثم قالت لثابت وانت

يا غلام قال خوفا من النار فقالت انى لاستحيي من ربى ان اعبده

رجاء الجنة وخوفا من النار فاكون كاجير السوء لولا اجرته لم يعمل

او كعبد سوء لولا مخافة ضرب سيده لم يخدمه فقالا وانت

يا رابعة لماذا عبدت ربك قالت حبا له وشوقا اليه وحكى عن

ذى النون المصرى انه قال ليس من الهمة العليا ان اكثر ذكره فى

الجنة والنار فسئل ما الهمة العليا فقال يقول العبد الله وينسى

ما دونه عند ذكره وحكى ان ابرهيم بن ادهم قال لمحمد بن واسع

ما غاية همتك قال اذا رضى الله عنى وادخلنى جنته فقال ابرهيم انى

لاستحيي من ربى ان يكون غاية همتى المخلوق وقال بعضهم ليت ان

ان الله تعالى رفع الجنة والنار من البين حتى ان العباد سجدوا
له بلا من علاقة ، وقال الحسن البصرى رضى الله عنه لقد ادركت
اقواما وصحبت طائفة استحيوا من الله ان يسألوا منه الجنة
وما سألوها قط ، وحكى ان رجلا من اهل الشام اتى الى ابى العلاء
ابن زيادة وهو فى المجلس ، فقال انى رأيتك فى المنام كأنك من اهل
الجنة ، فترك مجلسه واخذ بالبكاء حتى غشى عليه ، فلما افاق
قال يا عزيزى وقرة عينى بك عليك ان لا تصرفنى عنك ، فقيل
له فى ذلك ، فقال من عرف المنعم حق معرفته فما ينصرف منه
بالنعيم ، وقالت رابعة البصرية بكيت عشر سنين عن الله تعالى
وعشر سنين فى الله تعالى وعشر سنين الى الله تعالى ، فاما عن الله
تعالى فالرجاء عنه ، واما فى الله تعالى فالخوف منه ، واما الى الله
فالشوق اليه ، وحكى ان ذا النون المصرى كان يعظ الناس ويذكرهم

الجنة

الجنة والنار بما فيهما وهم يبكون بكاء شديدا فرأى منهم فتى
فضحك ضحك العارفين ، فقال له ذو النون اراك تضحك
يا فتى والناس يبكون ، فانشأ يقول

كلكم تعبدون خوفا من النار ❊ وترجوا النجاة حظا جزيلا
وبان تسكنوا الجنان فتحظوا ❊ فى رياض عيونها سلسبيلا
ليس فى الخلد والجنان هوائى ❊ انا لا ابتغى بحبى بديلا

فقال له ذو النون من لم يكن للوصال اهلا فما يصنع فانشأ يقول

ان لم اكن للوصال اهلا ❊ رضيت بالنار منزلا ومقيلا
ثم ازعجت اهلها بندائى ❊ بكرة من حريقها واصيلا
معشر المشركين نوحوا على ❊ انا عبد خدمت مولا جليلا
واذا لم اكن ادعيت محققا ❊ فجزائى غدا عذابا طويلا

❊ الباب الخامس فى مروة العارفين مع الله تعالى ومعالى همتهم ❊

قال ابو القاسم العارف رضى الله عنه اعلموا معاشر الربانيين ان
ادنى منزلة اهل المروة ان يضربوا بالدنيا وجه عاشقها وبالآخرة
وجه طالبها ويستأنسوا برب العالمين حتى ان الله تعالى
لو ادخلهم ناره واحاط بهم عذابه ابد الابدين مع هذه المعرفة
فلا تزداد قلوبهم الا انقطاعا وانفرادا به وسكونا معه من غير ان
يلتفتوا منه اليها طرفة العين بكمال مروتهم وحسن صيانتهم
وكانت الجنة بكل ما فيها فى جنب معرفتهم ومعالى همهم اصغر من
خردلة فى جنب السماء والارض وان الله تعالى قد بين معاملة
بالخليل ابراهيم صلوات عليه لجميع العباد ليعلموا ان اهل المعرفة
فى النار اطيب عيشا واحسن حالا واشد سرورا مع الله تعالى
من اهل الجنة فى الجنة وليعلموا ان كل من اوقد فى قلبه نار محبة
لا تحرقه النار فى الدارين لان نور المعرفة ونار المحبة يحرقان

مادون

مادون ذلك وصارت النار بردا وسلاما فى جنبها وليعلموا
ان من عرف الله واحبه لا يضره شئ فى الدارين حتى ان المؤمن
اذا وضع قدمه على الصراط تقول النار يا مؤمن جز جز فان نورك
اطفاء نارى فهذا في الاضطرار انه ابراهيم صلوات الله عليه لما القى فى النار قال
نمرود حرقوه وانصروا الهتكم فقال ابراهيم عليه السلام كيف
تحرقونى وحر نارى اشد من ناركم حسبى الله ونعم الوكيل
وحكى ان يحيى بن معاذ الرازى رحمة الله عليه يقول لو ان
الله تعالى ادخلنى النار احب الى مع هذه المعرفة من ان يدخلنى
الجنة فقيل له ولم ذلك قال حتى يتبين للخلق ان بره مع العارفين
فى النار اكثر من بره على من فى الجنة مع العاملين لانه هو الملك
الذى صير الجنة على آدم سجنا والنار على ابراهيم بستانا
قال ابو بكر الواسطى رحمة الله عليه ان وقت العارف فى النار

اطيب من وقت العامل فى الجنة لأن وقت العارف مع معرفته
ووقت العامل فى الجنة مع ثوابه والعيش فى المعرفة ليس كالعيش
مع الثواب قال ابو اسحاق السجستانى رحمة الله عليه قال
الرجل كل الرجل الذى يحبه فى الجحيم وانا نخاف النار على من
نسى المولى قوله تعالى فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا وقال
ابرهيم بن ادهم فى مناجاته انك تعلم ان الجنة وما دونها لا تزن
عندى جناح بعوضة بعد ما وهبتنى معرفتك وآنستنى بك
وفرغتنى للتفكر فى عظمتك وقال ابن سيرين لو خيرت بين ركعتين
وبين الجنة لاخترت ركعتين على الجنة لأن الجنة حظ نفسى
ورضاها وفى الركعتين محبة الله ورضاه وقال ابو عبد الله
رحمة الله عليه لو ان الله تعالى يخيرنى بين ان يدخلنى النار
ببدل جميع خلقه ويدخلهم الجنة ببدلى ويضع عذابهم على لوجدت

من

من قلبى احتماله بعد ان لا يسلب من قلبى معرفته ومن لسانى ذكره
قال عبد الله بن عبد العزيز رأيت فى المنام كأن القيمة قد قامت
فاذا مناد ينادى اين ابو عبد الله فجئ به فزعا فقال له المنادى
انت القائل لو ان ربى ادخلنى النار ببدل جميع خلقه وادخلهم
الجنة لاجد فى قلبى احتماله فقال بلى انا القائل بذلك فقال
الآن لا تحتاج الى ان تصحح هذه الدعوى فقال على قلبى يصحح ما ادعيت
وجعل يضرب يده على صدره حتى انتبهت من هيبة مقالته وقال
بعضهم المودة كأس من شراب ~~المعرفة~~ المحبة من عين المعرفة
ممزوج بمسك المنة وعبير العناية تجرى فى بحر الهمة فمن شرب
منها كأسا لا يلتفت الى الدنيا وما فيها ومن شرب منها كأسين
لا يلتفت الى العقبى بما فيها ومن شرب منها ثلاثة سكر عما دونه
سكرة لا يفيق منها الى الابد وروى ان موسى عليه السلام كان

يقول فى بعض مناجاته الهى عجبت من وجدك كيف يرجع عنك

ان يشتغل بغيرك قال يا موسى من وجدنى لا يرجع عنى وما رجع

الا من الطريق وروى فى الاخبار ان يحيى ابن زكريا وعيسى ابن مريم

صلوات الله عليهما كانا سيران فى بعض الطريق فصدم يحيى

امرأة فقال له عيسى يا ابن الخالة لقد اصبت اليوم ذنبا عظيما

قال وما هو قال امرأة صدمتها فقال يحيى والله ما شعرت

بها فقال له عيسى سبحان الله نفسك معى فاين قلبك فقال

عند الله مستأنسا به ثم قال يا عيسى فلو ان قلبى سكن الى احد

غيره وتعلق بشئ دونه لظننت انى ما عرفت الله حق معرفته

طرفة عين قال فبكى عيسى عليه السلام وقال هنيئا لك قرب

الله وانسه قال ابو القاسم العارف رضى الله عنه ليس فى

الدارين شئ اعظم واعلى من همة العارف ومروته لانها ربانية

فردانية

فردانية صمدانية روحانية ديمومية علوية قدسية بل هى

لحظة برقية ولمعة وقتية ووديعة سرية التى منه بدت

واليه تعود فلا يدرك كمالها وشرفها غير الله لان كمال العارف

احتراقه بحبه لربه كما قال الشاعر شعرا

انا الضحك والاحشاء تحترق فانما ضحكنا زرق فيحترق

الباب السادس فى صيانة العارفين وطريقتهم ومعالى هممهم

قال ابو القاسم العارف رضى الله عنه اعلموا معاشر الربانيين ان

الصيانة والطريقة شعبتان من شعب المعرفة وهما زمامان

للعبد الى كل تحقيق زمامان وهما ممزوجان بالحياء والحرمة

وهما مبخلان لله عز وجل فى الارض يقطع بهما العبد عن قلبه

جميع التعاليق فاصل الصيانة قطع الطمع من الناس فى جميع الحوائج

حتى لا يسأل منهم شيئا فاما قطع الطمع من الله عز وجل فهو ان

ان لايسأل من الله غيره • واصل الطريقة تفويض الامور الى الله
تعالى فى الارض يقطع به جميع المصالح حتى لايسأل منه شيئا •
فاما قطع الطمع من الناس فى جميع الحوايج هو ما روى ثوبان انه
قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما يقول من يتقبل لى
بواحدة اتقبل له رضوانه الاكبر اى رضوان الله قلت انا يا رسول الله
فقال لا تسأل الناس شيئا فكان ثوبان كلما سقط السوط من يده
فلا يقول لاحد ناولنى اياه بل ينزل ويرفعه وقيل لبعض العارفين
هل لك الينا من حاجة قال انى لاستحيى من الله تعالى ان اسأل منه
حاجتى وهو يملكها فكيف اسأل ممن لا يملكها وحكى ان جماعة من
الزهاد دخلوا يوما على رابعة البصرية وفيهم سفيان الثورى
رحمه الله فرأوا لها حالة رثة فقالوا لم لا تسألين الى بعض مواليك
حتى يعطونك شيئا على قدر اخراجه عليك فقالت انى لاستحيى

من الله ان اسأل منه الدنيا وهو يملكها فكيف اسأل من لا يملكها
ثم قالت حق من اعزه الله بمعرفته ان لا يذل نفسه بدونه
ولا يلتفت منه الى غيره اجلالا لحرمته ونوالا لمعرفته فقالت
لولا معرفتى بكم لسخطت عليكم ونحيتكم عنى وحكى ان رجلا
جاء الى سفيان الثورى فسأله قطعة فاعطاه دينارا فقيل له
فى ذلك قال ان كان هولا يعرف قدر نفسه وقيمتها فانا لا ادع
كرم نفسى وهمتها وان كان هو ترك الصيانة فانى لا اترك
الجود وحكى ان على بن الحسين رضى الله عنه قال كنت بين
يدى ابى عبد الله قد قرأت عليه بعض الكتب وكان فى
يده سكين فرأيت حرفا خطاء فقلت يا ابا عبد الله ناولنى
السكين فدفعها الى فلما قضيت الحاجة رددتها اليه فقال
يا ابن على لا تعد الى هذه المسألة مرة اخرى فتقع الى مذلة السؤال

وخساسة الهمة، وحكى ان بهلول المجنون كان لا يأخذ من احد
شيئا وان الحوا عليه فقيل له في ذلك فقال امرنا لا نأخذ
بالواسطة لان منه ذهاب الهمة فقيل له فما الهمة فقال
ادناها ان لا يكون لك بغير الله حاجة واوسطها ان تترك
حوائجك وتدبيرك ومصلحتك اليه واعلاها ان لا تلتفت
منه الى ما سواه وحكى ان حماد القريشي قال كنت حاجا فاردت
التلبية فاخذت منديلا متسخا وغسلته وقطعته نصفين
واتزرت بنصف منه وارتديت بالآخر ثم لم تزل تنازعني
نفسي ببعض الحاجة فاذا البادية كلها فضة فغمضت عيني عنها
فقلت اللهم اني اعوذ بك من كل ارادة سواك فمضيت ولم التفت
اليها ثم قلت اللهم اجعلني ممن لا يؤثر عليك شيئا ولا على حبك
فانك نعم المولى ونعم النصير وقيل للحسن البواجزوي اي شيء

تعلمت

تعلمت من ابي عبد الله في ثلاثين سنة قال ثلاثة اشياء
الصيانة والطريقة والمروة فقيل له وما الصيانة قال ان لا
اسأل الناس شيئا ولا اتعرض وان عرض علي شيء لا اقبل منهم
فقيل وما الطريقة فقال ان لا اسأل من الله غيره وقيل وما
المروة قال ان لا اكتفي عنه بالدارين بكل ما فيها وحكى ان
داود الطائي رحمة الله عليه مرض ولزم جوف البيت مدة
فقيل له الا تشتهي شيئا فنسأل منا فقال اني لاستحي من الله
تعالى ان يراني وانا اسأل الحاجة من غيره لان منه ذهاب
الصيانة فقيل فلو سألت الله تعالى ان يكشف عنك هذه
العلة قال الله تعالى اختار لي هذه العلة مع علمه وكمال لطفه
ورحمته علي وانا استحي منه ان يكون لي اختيار غير اختياره
فله الحكم فيما يشاء وله الحمد على كل ما قضى فقيل له لو خرجت

الى صحن الدار حتى يهب عليك الريح والهواء قال اني لاستحيي من
الله تعالى ان يراني وانا اطلب الراحة لنفسي او اسكن الى شيء
دونه بعد معرفتي له ثم قال وسئل عن الهمة ومعاليها فقال
انها مقسومة على النفس والروح والقلب والسر فاما سبيل
النفس الى الهمة حسن الصيانة على بساط التجريد واما سبيل الروح
الى الهمة حسن الطريقة على بساط التفريد واما سبيل القلب الى الهمة
حسن الفتوة على بساط التصديق واما سبيل السر الى الهمة حسن
المروة على بساط التحقيق فاصل الصيانة قطع الطمع عن الخلايق
واصل الطريقة هي قطع العلائق دون الله تعالى واصل الفتوة
انقطاع القلب الى الله تعالى مع الاياس عن كل ما سواه واصل
المروة انفراد السر بالفرد للفرد جل جلاله وتقدس اسماؤه
وحكي ان ابا سعيد الخراز رحمه الله قال كنت بالبادية فاصابني

جوع شديد وطالبتني نفسي ان اسال الناس الذي في البادية
شيئا فقلت لها ما هذا من فعل المتوكلين واهل الصيانة ثم
طالبتني نفسي ان اسال الله تعالى شيئا فقلت ما هذا من
فعل الصديقين واهل الطريقة ثم طالبتني نفسي بان اسال الصبر
على هذا الضر فاذا بهاتف يقول شعرا

ويزعم انه منا قريب ❊ فانا لانضيع لمن اتانا
ويسألنا القوى جهدا وصبرا ❊ كانا لا نراه ولا يرانا

ففهم ابو سعيد صوته واصل ذلك كله ترك الدنيا التي حبها رأس كل خطيئة

الباب السابع فيما ينبغي لكل من اراد ان يتكلم بكلام اهل الهمة

قال ابو القاسم العارف رضي الله عنه اعلموا معاشر الربانيين
اني نظرت في كلام الاجلاء من اهل الهمة وائمة الهدى من اهل
السلف فيما هاج من رسوخ خواطرهم من لطائف الاشارات

ودقائق العبارات، فاذا هی ودایع من الله سرّیة الی قلوب اهل
المعرفة التی لا یعرفها علی التحقیق الا نبیّ مرسل علی قدر نبوته
او صدّیق مقرب علی قدر قربة من الله تعالی او عاقل فطن
علی قدر عقله وفطنته، ینبوعها من عین الوحدانیة التی تقشعر
منه جلود المتقین، وتحرّق بها اکباد المحبین، وتطیر الیها افئدة
المریدین، وتستانس بها ارواح المنیبین، ویسکن الیها قلوب
العارفین، فینبغی لکلّ من اراد ان یتکلّم بکلام اهل الهمّة ان یتکلّم
علی قدر عقولهم، ثمّ ینبغی ایضا ان یتکلّم بلسان الحال لان لسان
افصح من لسان المقال، فهذا ما حکی ان یحیی بن معاذ الرازی رحمه
الله کان یوما من الایام وجد حالا من الخوف، فلمّا اجتمع النّاس
الی مجلسه، فقام بینهم ویکلّمهم من حاله، وکان اوّل کلام یقول
اخذت نار بیدی اشعلتها فی کبدی، الی من اشکو سیّدی بیدی
احترقت

احترقت نفسی، ثمّ قال الیوم یوم حیرتی الیوم یوم فاقتی، مثل ذلک
حتّی انّ اهل المجلس اخذوا فی الصّیاح ومزّقوا ثیابهم وخرّ مغشیا
اکثرهم، ویقال لما فرغ یحیی بن معاذ من کلامه رفعوا من مجلسه
ثلاثة عشر جنازة من الرّجال والنساء، وحکی انّ رجلا قصد الی
ابی یزید رحمه الله بعد العصر لیساله شیئا من الحیاء، وهو فی بیت له
وله خادم جالس علی الباب فاستاذن بالدخول علیه فقال الخادم
لیس هذا وقت الدخول علیه، قال الیس قد امرک ان لا تمنعنی عنه
اذا اتیت، وکان یلح علیه، حتی فتح له الباب، فاذا البیت کانه امتلا منه
ففزع ورجع ثمّ اتی الیوم الثانی فاستاذن بالدخول علیه مثل ذلک
فلحّ علیه، حتّی فتح له الباب، فاذا هو ذاب حتی لم یبق منه الا خیال
فلمّا کلمه الرّجل ذاب حتی صار بین یدیه کالماء، واقف فی الهواء،
ففزع الرّجل ورجع، ثمّ سال الخادم عن تلک الحالات [illegible] الحال

الاول الذى رأيت منه هو الحال السرور به والحال الثانى هو حال
الحيآء منه والماء الواقف بين يديه فى الهوآء فهو كله ذاب حتى صار
كما رأيت فقال الرجل ما افصح لسان الحال وحكى ان الليث المصرى
كان له اخ وكان بباب الاسكندرية فلما قدم عليه قال اين كنت
قال اقبلت على ربى فقال له اين فوائد الاقبال فدهش ولم يجب
شيئا فقال الليث ان العبد اذا اقبل على الله تعالى بصدق الارادة
يمنحه الله تعالى فوائد لم يخطر على قلب بشر من كثرة عجائبها
ولم يقرع سمع انسان لغرابتها ويقال كلام الحال سهام الله
النافذ ولم يكن سهم الله يخطى اذا رمى وسئل بعض العارفين
متى يكون الرجل ناطقا ساكتا وحاضرا غائبا موجودا مفقودا قال
الالسنة كلما نطقت بالحق للخلق كلت عما دون الحق سبحانه وتعالى
والقلوب كلما وردت الحضرة صارت غايبة عما دون الحق تعالى
والاسرار

والاسرار كلما وجدت الحق تعالى صارت مفقودة عما دون الحق
تعالى ويقال العارف كلما يسكت عن لسان المقال صارت كلية
ناطقة بلسان الحال ولسان الحال افصح من لسان المقال ويقال
لولا ادرى اى الاحوال للعارف احسن بخله من كلام اهل المعرفة
ام سخاؤه من كلام اهل الزهد والتقوى وسئل بعض العارفين
كيف حالك قال كيف حال من اذا تكلم عن حاله اهلكه واذا
سكت احترق ويقال كل من لا ينفعك سكوته لا ينفعك كلامه
ويقال العارف من اذا سألته عن الله يجيبك بلسان الحال
قبل لسان المقال وسئل بعض العارفين متى يعرف الرجل انه على
صفاء الحال قال اذا لم يرض بالحال دون ولى الحال لان من رضى
بالحال دون ولى الحال بقاء على صفاء الحال وحجب بالحال عن محول
الحال ثم ينبغى له ايضا ان يكون عارفا باجناس الخلق واختلاف

هلك غ

نياتهم وضروب اسرارتهم، وصنوف منازلهم ومقدار فهمهم وهمتهم
لكى يهتدوا ولم يتحيروا فهذا ما قال ذو النون رحمه الله ما رأيت
لمحدث قوم ولم يكن عارفاً بمقدار عقولهم وفهمهم وارادتهم، و
نياتهم وهممهم، وصنوف منازلهم الا اذا كان ذلك على بعضهم
فتنة ويقال ليس من تحقيق المعرفة من ان يحدث المعرفة عند
ابناء الآخرة، فكيف عند ابناء الدنيا، ثم ينبغى لمن اراد ان يتكلم
بكلام اهل الهمة ان يتكلم من ابناء قلبه، كما قال ابو يزيد من تكلم
بكلام اهل المعرفة يحتاج ان يكون له نور المعرفة، ويقال اذا كانت
الاوقات مع الله صحيحة، فجميع الالسن منه فصيحة، ويقال ان الله
تعالى اعطى للعارفين الالسن كلها حتى انه ينطق بكل لسان، حتى فى
لسان المعرفة له لسان، وفى لسان الشريعة له لسان، وفى لسان
المحبة له لسان، وفى لسان الافتقار له لسان، ثم كلت تلك الالسن
وتلاشى

وتلاشت فى سلطان الحق، ثم تلاشت فيه صفاته، فهذا عبد
ناطق ساكت حاضر غائب، وايضا ينبغى له ان يحفظ موضع كلامه
لان لكل مقام مقالة، وان لكل مقالة اهلا وان لا يحمل فوق الطاقة
ولا يمنع عن اهل الحاجة لان الحمل فوق الطاقة ظلم والمنع عن اهل
الحاجة بخل، فهذا ما روى ان عيسى عليه السلام قال يا صاحب
الحكمة كن كالطبيب الناصح يضع الدواء حيث ينفع، ويمنع من
حيث يضر، لا تضع الحكمة فى غير اهلها فتكون جاهلا ولا تمنعها
من اهلها فتكون ظالما، ولا تكشف سرك عند كل احد فتصير
مفتضحا وايضا ينبغى ~~وايضا ينبغى~~ له ان يحفظ ادب كلامه
ويعظم محله ومراتبه، ويعرف قدره ومنزلته، لانه يقال تعظيم الكلام
خير من كثرة الكلام، ويقال المتكلم اذا لم يحفظ ادب كلامه ولا يعرف
محله وهيبته، عند من ليس اهله صار اصم وابكم واعمى عنه،

يعنى يُسلب منه فبقى اصم ابكم اعمى فهذه عقوبة لترك الادب
واذا حفظ ادب كلامه وتعظيمه نطقت بها كل عضو منه حتى يصير
ناطقا فى سكوته حاضرا فى مغيبه كرامة لحفظ ادبه واعلموا ان من
ادب الكلام ان يكون كلامك مع اهل المعرفة بلسان اهل المعرفة
ومع اهل الزهد بلسان اهل الزهد ومع اهل التوحيد بلسان اهل
التوحيد وكذلك مع كل صنف من الفقهاء والادباء وغيرهم فينبغى
ان يكون لكم لسان على مقدار مراتبهم ويقفون منازلهم وايضا ينبغى له
ان لا يفشى السر الذى بينه وبين حبيبه عند كل احد لان من افشى
سر محبوبه صار من المفتضحين وهو لا يشعر وبقى فى ضلالات
الخذلان ابد الابدين عقوبة للكشف وحكى ان ذا النون المصرى
رحمه الله قال رأيت رجلا اسود وهو يطوف حول البيت ويقول بصوت
خفى انت انت ولا يزيد على ذلك اللفظ شيئا آخر قال فدنوت
منه

فدنوت منه وقلت اى شيئ عنيت به فانشا يقول
بين المحبين سر ليس يفشيه ✽ خط ولا قلم عنه فيحكيه
بريقا بله انس يمازجه ✽ نور يخبره عن بعض ما فيه
فقلت زدنى قال قلوب قصدت اليه بالكلية فادعها الله ودايع سره

الباب الثامن فى شرف كلام الاجلاء وائمة الهدى فى معالى الهمة

قال ابو القاسم العارف رضى الله عنه اعلموا معاشر الربانيين
ان فى كلام الاجلاء وائمة الهدى فى معالى الهمة هى بيان المعرفة
تميز الانفصال من الاتصال ومعرفة تميز الاسباب الشاغلة عن الله
من الاسباب الشاغلة بالله والداعى الى الله تعالى من الداعى عنه
وعرفان حركات هيجان الضمائر وطيران الهواء فى سرادقات القرب
وكشف ما يشاهد السر من ملاحظة الحق تعالى وبيان معاملة
العبد من صدق الحال وصفاء الوقت وصحة الارادات وانفراد الكلية

للحق تعالى مع الانقطاع عما دونه وتجريده بالكليه عن الكل فى القصد
اليه وغير ذلك من معاملة القلوب ولا يكون معرفة الاتصال به
بدون معرفة الاسباب الشاغلة به ولا معرفة الداعى اليه دون
معرفة الداعى عنه وكذلك القلوب لا تشرف على عرفان حركات
هيجان الضمائر عند تلاطم امواج بحار خوطر القلوب الذى لا يحصى
عددها ولا ينقطع مددها الا انبيان ما دون الحق تعالى ولا يطلع
على حسن معانيها ولطائف شرحها الا من كشف عن سره الحجب
التى بينه وبين محبوبه وهذه التى عليها جميع دوران كلام العارفين
من اهل الهمة فى الاولين والآخرين فاذا فتح العارف فاه ببيان ما ذكرنا
من العبارات وشرحها فاغتنموها واعرفوا شرفها لانها ودايع من الله
تعالى سريه فى قلوب اهل المعرفة فهذا ما قال يحيى بن معاذ الرازى
رحمه الله قلوب قصدت اليه بالكلية فاودعها الله تعالى ودايع
سره

سره قال ابو سليمان الخواص انكم تركتم الله بعضكم على بعض فلو اقبلتم
اليه لرأيتم العجائب على ما عجزتم عن وصفها فذهب اهل الهمة بصفات
القربه وبقى البطالون فى مهاوى الغفله وقال يحيى بن معاذ لقيت
الحكما فوجدت اكثرهم مفلسين يفتحون من كيس غيرهم وروى فى الاخبار
ما من مومنين يلتقيان فيذكران المزيد فلا يفترقان حتى يكون لهما
من الله عز وجل فى الله لله بالله من معرفته ويقال كلام اهل
المعرفة كنز من كنوز المعرفة فالهداية من كنوز المعرفة ومعادنها
قلوب العارفين وترجمانها اللسان فامر الله تعالى لاهل المعرفة
بان ينفقوا منها على اهاليها قوله تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة
والموعظة الحسنه وقال ابو القاسم العارف وابو عبد الله ضع وديعتك
عند الله وهى نكرة قلبيه فيضيع ودايعه عندك وهى الحكمة وهو
خير كثير وقال بعضهم سبحان من زين قلوب المريدين بنور معرفته

وسقاها من شراب محبته ونورها بمصباح حكمته وانطق لسانهم
باشارات لايدركها الا من اصم اذنيه عن البطالات واعمى عينيه عن
الشهوات واخرس لسانه عن الكلام بالفضولات وقال بعضهم
قلوب اهل المعرفة خزائن الله فى ارضه يضع فيها ودائع سره
ولطائف حكمته وحقائق محبته وانوار علمه وامانة معرفته وقال
يحيى بن معاذ القلوب كالقدور وتغارفها اللسان وان كل لسان
يعرف ما فى قلبه وقال حامد العارف ما كلمت احدا من الناس
الا وقد دعوته الى الله تم كلمته الا ابا يزيد فانى ما اردت ان اكلمه
الا وقد دعوته من الله تعالى تم كلمته وقال السرى السقطى رحمه
الله من قام على وفاء صدق العبودية من غير علاقة سقاه الله
شربة من عين المحبة ويبلغه الى مقعد الصدق الذى عند مليك
مقتدر وقال [illegible]عبد اذا ورد بالسر الى الحضرة وفتح عين الهمة
بقوة

بقوة اجفان صدق الارادة وسلم ببياض التجريد وسواد التفريد
فينظر بنور اليقين والمعرفة الى الله تعالى بلا شبه ولا كيف قال
ابو القاسم العارف رحمه الله اعلموا ان الرؤية على وجهين رؤية
القلب بمشاهدة الايقان ورؤية العين بمشاهدة العيان وهذا
ما سئل علي محمد بن جعفر الصادق رضى الله عنه هل رأيت الله
عز وجل قال لم اكن اعبد ربا لم اره فقيل كيف رأيته وهو الذى لا تدركه
الابصار بمشاهدة العيان فقال ابصره القلب بمشاهدة الايقان
لا يحس من الحواس ولا يقاس بالناس واعلموا ان القلوب كلما نظرت
الى الله تعالى بعين اليقين والمعرفة سقط عنها رؤية ما سواه
وفنى عنها صفاة الانسانية من غير ان يسقط عنها الانسانية
وربما غلب عليه رؤية المنة فتفنى عنه رؤية الاعمال من غير ان
تسقط عنه الاعمال وربما غلب عليه سرور عند وجد[illegible]فيفنى عنه

رؤية الثواب من غير ان يسقط عنه الثواب ، وربما غلب عليه ذكر الله تعالى

من غير ان ينساه او يسقط عنه ذكره ، وربما طار سرّه باجنحة الهمّة

نحو الحق سبحانه وتعالى الى ان ورد الحضرة ، ثمّ ارتحل عن المعرفة على

سبيل ترك التعاليق من غير ان يسقط عنه المعرفة ، وربما كلّ لسانه

تحت سلطان الحقّ سبحانه وتعالى من غير ان يسقط عنه المعرفة فهذا

صفة من صار عند الحقّ بالقلب حاضراً ، وعما دونه غائباً ، ومنه قريباً

وعمّا دونه فانياً ، هو به ناطقاً وعما دونه ساكتاً ، وعلامة من عرف الله

وعلم انّه بالكلية له ان لا يطلب عن الله غير الله ، فهذا ما حكى

عن بعضهم قال كنت حاجاً اذا شابٌ يقول الهى قد اجتمع وفدك وانت

عالم بهم فما انت صانع بهم فسمع الشاب هاتفاً يقول وفدى كثيرٌ

وطلاّبى قليل فصاح الشابُ صيحة وخرّ مغشياً عليه ، وقال خادمُ

ابى يزيد سمعت شيخاً ببسطام قال رأيت فى المنام كأن ربّ العزّة

يقول

يقولُ الناسُ كلهم يطلبون منى ما خلا ابو يزيد فانه يطلبنى وارادنى

وانا اريده ، وقال يوسف بن اسباط من لا يرى ان حركاته وسكناتُهُ

لله ، ثمّ سجد لم يسجد لله ، ومن عرف الله وفى قلبه همّ سوى الله

لم يعرف الله ، وسئل عن بعض العارفين كيف حالك قال كيف حال

من يكون ظنّ انّه قد صار عنه مفقوداً فاذا هو به موجوداً فهذا

اشارات وعبارات لا يطلع عليها الاّ من صفا سرّهُ عن غبارِ

البشريةِ وسقط عنه رؤية ما سواه ، فلولا معرفتنا باهل زماننا

وضعف يقينهم وقلّة معرفتهم لذكرنا نشرحُ من لسان اهل معالى

الهمّة ما هو اعلى منها ولكن يكتفى العارف بدون ما ذكرنا من اعلاها شعراً

اهل الخصائص مصطفون لقربه ، ادناهم من سالف الازمانِ

اختارهم من قبل فطرة خلقهم ، فهمُ ودائع حكمةٍ وبيانِ

الباب التاسع فى كلام ابى يزيد البسطامى وحسن اوقاته ومعالى همته

قال ابو القاسم العارف رضى الله عنه اعلموا معاشر الربانيين ان
ابا يزيد رحمه الله كان اية من آيات الله وانى نظرت فى كتب الاجلاء
واهل الهمة وائمة الهدى من اهل السلف وقد قرأت ماهاجت به
رسوخ خواطرهم فما رأيت كلاما اعلى من كلام ابى يزيد رحمه الله
لان مطالع كلامه مصابيح المعرفة وروح اليقين وعيون الصفا
وابحر الوداد وكنوز التوحيد والتفريد فكل من اطلعه الله تعالى
على عرفان كلامه ووقف على حقيقته فلا شك انه من عباد الله
وافضلهم عنده خاصة فى هذا الزمان فلله الحمد كما هو اهله وحكى ان
خادم ابى يزيد رضى الله عنه قال دخل رجل على ابى يزيد رحمه الله
وقال يا ابا يزيد بلغنى ان عندك اسم الله الاعظم واحب ان تعلمنى
ذلك فقال له ابو يزيد ان اسماء الله تعالى كلها من الاعظمين
وليس فيها حد محدود ولا اسم معدود ولكن فرغ قلبك لوحدانيته

مع

مع ترك الانداد به فان كنت كذلك فادع باى اسم شئت فانك
تطير فى ساعة من المشرق الى المغرب وبه تحيى وتميت فقال الرجل
سبحان الله اويكون هذا فقال نعم وليس هذا خطير عند اصحاب
معالى الهمة لان جميع مادونه كلمة من كلام الله ولكن ان لله
عبادا يقومون ويقولون حيث لا اين حتى يكون مادون العرش
تحت همتهم فقال الرجل من رأى هذا قال من قام مقام الوصلة
والقرب منه وحكى ان رجلا جاء الى ابى يزيد رضى الله عنه
وقال يا ابا يزيد ان الله تعالى قد اقامنى فى مقام لا يقوم فيه احد
من العالمين فقال ابو يزيد ما هذا المقام قال سخر لى مادون العرش
الى الثرى فقال له ابو يزيد يا مسكين هى ادنى ما يجد منه العارفون
فلو ان الخلائق اعطوا ما اعطاك ما نقص من ملكه شئ ولا يعرف
الله حق معرفته من يرى كمال العارف بهذا المقدار ثم قال

له ثم يا مخدوع الله اعلم وحكى ان خادم ابى يزيد قال دخل ابو يزيد
يوما فى مدينة فاذا قد اجتمعت عليه الخلائق وهو ساكت فلما نظر
الى زحامهم منه بكى وقال لو ان الخلائق عرفوا الله لاستغنوا بالله
عنى ثم قال اللهم انى اعوذ بك ان تحجبنى عنك بهم واعوذ بك
من ان تحجبهم عنك بى وحكى ايضا انه قال حج ابو يزيد ودخل الكعبة
واستلم الحجر ثم قام عند المقام وقال الهى كم تحجبنى فى الحجب اما لك ان
ترفع الحجب فنودى ان يا ابا يزيد ليس الحجاب بيننا وبين اعدائنا اى
فكيف وبين احبابنا فبكى ابو يزيد رضى الله عنه ثم قال بك عليك
ان لا تحجبنى بك وبكى حتى سال الدم من عينيه وحكى ان خادم ابى يزيد
قال بينما كنت قاعدا خلف ابى يزيد رحمه الله وكان هو فى وقته
وحاله اذ شهق شهقة كاد قلبى ان ينقطع وينخلع من هيبة شهقته
فقلت له بعد ثلاثة ايام يا ابا يزيد رأيت منك شيئا عجيبا قال

وما

وما ذاك العجب قلت شهقت شهقة الحدة قال الحدة هى التى لم يكن
بينهما حجاب لعرفه حتى تحترق وليس للعارف شيء يحجبه عنه
وحكى ان خادم ابى يزيد قال جاءت الى ابى يزيد رحمه الله طائفة
من اجلاء اهل المعرفة وسألوه عما يراه فى منامه فقال رأيت فى المنام
كأنى رفعت الى السموات فاجتمعت على الملائكة فى كل سماء وقالوا
يا ابا يزيد الى متى تذكر الله تعالى فانك تذكر الله الى الموت فقلت لهم
انى لاستحى من ربى ان يكون ذكرى له دون الاباء او يكون لذكرى حد
محدود او اجل معدود ويقول اذكروا الله ذكرا كثيرا ثم سكت فقال
له واحد منهم يا ابا يزيد فمتى يكون لك لسان الذكر قال اذا اشتغل
اهل النعيم بالنعيم واهل الجحيم بالجحيم فاقوم بين يدى منعم هذه
النعمة واقول بلسان الابدية من الازل الى الابد الله الله الى الصفوة
بلا علاقة ولا سبب من الاسباب فقيل له يا ابا يزيد زدنا ما رأيت

في منامك، قال اني رأيت في المنام كأني بين يدي رب العزة، وهو يقول
يا ابا يزيد ما تريد، قلت يا عزيزي أنت المريد، وانت المراد لا اريد
غيرك، ثم بسط لي بساط العطايا نوعا بعد نوع، وعرض علي من الملك
ما كلت الالسن عن نعتها، ففي كل ذلك كنت غضضت بصري عنها
وعلمت انه يجربني فلم التفت اليها اجلالا لحرمته، وكنت اقول
في ذلك يا عزيزي مرادي غير ما تعرض، سبحانك ما اعظمك واجلك
لقد اعطيت الاولياء اجابة الدعوى، وفتحت عليهم ابواب العفو
والرحمة، فرضوا بذلك، وانصرفوا عنك، سبحانك، سبحانك لقد
اعطيت البدلاء سلامة الصدور، ومزائد فوائد ذلك، وانصرفوا عنك
فانك ان مننت علي ان ترفع انا مني فتكون انت كما كنت في الازل حيث
لم يكن التكوين، ثم بعد ذلك امتحنني بامتحان لا يقوم به السموات
والارض بما فيهم، ثم بعد ذلك كان كما كان ثم سكت، فقيل له هل

قلت

قلت شيئا في امر الخلق، قال عرض علي الذرية باجمعهم فلما نظرت
الى قلتهم استحييت من الله تعالى ان يكون حاجتي اليه هذا القدر
فقاموا من بين يديه مبهوتين، وقالوا هيهات هيهات هذا الرجل
عالي الهمة، وحكي ان ابي يزيد رحمه الله كان جالسا في المسجد الجامع
عند المنبر في يوم الجمعة، وقد صعد الخطيب المنبر ليخطب فجرى على
لسان الخطيب وما قدروا الله حق قدره، فسال الدم من عينيه اجلالا
لهيبته، وحكي ان رجلا جاء الى ابي يزيد، قال يا ابا يزيد بأي شيء
اقدر على مداومة العبادة، قال بمعرفتك له ان كنت تعرفه لان
ادنى منزلة العارف اذا علم انه ليس شيء سوى الله تعالى فيكون
عنده كان ليس شيء موجودا لا يكون له اشتغال بغيره والتفات
فحينئذ صارت الاشياء كلها له ومعه اذا افنى عن كل شيء فيكون
عنده كان ليس شيء موجودا وحكي ان رجلا قال يا ابا يزيد بلغنا

انّك مستجاب الدّعوة فقال مساكين اهل الغفلة رضوا بان يستجاب
دعاؤهم وتُطوى لهم الارض ثمّ قال يا مسكين الله تعالى يستجيب
دعوة الكافر فما ظنك بالمُسلّم وسأله رجل آخر فقال يا ابا يزيد
بلغني انّك تمرّ على الماء والهواء فقال يا مسكين فالطّير تمرّ على الماء
والهواء والمؤمن اشرف من الطّير واكرم على الله من السبع السّموات
والارضين والعرش والكرسىّ وكلّ ما دونه وحكى انّ احمد بن حرب
بعث الى ابى يزيد مصلى للصّلوة فردّه اليه وقال للرسول قل لاحمد
ابن حرب انّ هذا يصلح لمثلك فانى قد جمعت عبادة اهل السّموات
واهل الارض من الاوّلين والآخرين ابد الابدين ثمّ جعلتها فى مخدّة
ووضعتها تحت خدّى وانت لا تشعر ثمّ بعث اليه الرّسول
مرّة اخرى فقال له انّ القافلة قد ارتحلت وانت فى النوم والراحة
فقال ابو يزيد رحمه الله الرّجل كلّ الرّجل الذى ينام الليل كله فاذا

اصبح

اصبح اصبح بالمنزل قبل القافلة ثمّ بعث اليه الرّسول بوسادة وقال له
قل إنّك اذا نمت اجعلها تحت رأسك فردّها اليه وقال قل له
من كان هو فى وسادته فما يصنع بوسادتك ثمّ قال مسكين اهل الفضل
يفتخرون بكثرة الاعمال ويعظمونها فلو انّ اهل المعرفة عملوا اعمال
اهل السّموات والارض من الازل الى الابد لصغر ذلك فى اعينهم فى
جنب عظمته اصغر من خردلة بين السّماء والارض وحكى انّ ابا يزيد
قال جهدت ثلاثين سنة على ان اردّ الخلق الى الله تعالى فلمّا ما كن
ولم اقدر على ذلك فبكيت وقلت الهى انّك تعلم انّ شغلى بخلقك
حجبنى عنك وقد اشتدّ توجعى عليهم حتّى لا اقدر انظر اليهم فما انت
صانع بهم فنودى ان يا ابا يزيد الى لم تشتغل بخلقى عنى وانا قد فعلت بهم
ما اشاء يا ابا يزيد انظر اهل تقدر ان تخلف الخلق وتصير الى وحدك
قال فتركتهم وصرت وحدى الى ربّى فاذا هم باجمعهم عنده حاضرون

وانا من ورائهم واقف فقلت يا عزيزى الخلق لك وانت مالكهم
وكان يقول عامة دعائه
مالى وللتكلف بالدخول بينك وبينهم اللهم اسألك سؤال من
لم يعرف بالربوبية لغيرك والعتق من عبودية ما سواك فقيل له
اصبت من اجابة الدعاء شيئا قال نعم قيل وما هو قال انسانى ما دونه
بالكلية وكان يوما يأكل التفاح الحامض فقيل له يا ابا يزيد
يقال انه يذهب بالحفظ فقال انى حفظت ربى فما ابالى ان نسيت
ما دونه بالكلية ثم قال لكل شئ روح وروح المعرفة نسيان ما دون
الله تعالى قيل لاى شئ يفتح للعبد روح المعرفة قال اخلفته
من المتحيرين عنه يقال سمعنا نسيان ما دون الله تعالى وقطع العلائق
بدونه والاياس عن كل ما سواه قال ابو القاسم العارف رضى الله
عنه افهموا معاشر الربانيين وحسنوا النظر وتفكروا فى معالى
لطائف اشاراته وجواهر مكنون عباراته وكثير من كلامه وجلالته
داوقاته

ما ذكرنا من كلام ابى يزيد رحمه الله

واوقاته كنت كرهت ذكرها غيرة عليها حتى اجد اهلها
فلا شك ان كل من اطلعه الله تعالى على معانى كلامه
ووقف على تحقيقه انه من اخص عباد الله واصفيائه
عنده، شعر

تسرمد وقتى فيك فهو مسرمد ، وافنيتنى منى فصرت مجردا
ففرد نوعى فانفردت بغربتى ، وصرت غريبا فى البرية اوحدا

الباب العاشر فى بيان غوامض آفات الحسبان والغرة

قال ابو القاسم العارف رحمه الله اعلموا معاشر الربانيين
ان قلب العارف بحر الله الاعظم وان معالى الهمة
هى الامواج التى فى البحر فلا يزال البحر يموج حتى يصير
زاكيا من جميع الغنى والدعوى ثم لايزال البحر يموج حتى يصير
صافيا من جميع الارادات الفاسدة الرديه ومن جميع

الشهوات الخبيثة الدنية، ثم لا يزال يموج حتى يصير صافيًا،
من جميع الغبارات والالتفاتات منه الى ما سواه، ثم لا يزال يموج
حتى يصير انفاسه واوقاته وحركاته وارادته وكليته لله
تعالى، ثم لا يزال يموج حتى صار كما كان حيث لم يكن التكوين
وكان الحق تعالى بلا كون فهذا قيامته الكبرى وهمته العلياء
وحالات العظمى، ولا ينال هذه المنزلة الا بالزهد في الدنيا ومجانبته
عن هواه، فهذا ما روى في الاخبار ان الدنيا بكل ما فيها
عرضت على النبى صلى الله عليه وسلم من غير ان يحاسبه عليها
ولا انتقاص مما له عند الله تعالى من المنزلة العليا الرفيعة
فلم يقبل ولم يلتفت اليها من معالى الهمة وكمال مروته ومودته
وقال اشبع يومًا واجوع يومين وخرج من الدنيا ولم يشبع من خبز
الشعير ثلثة ايام فهذا رد على قول من يقول انا من ابناء الاخرة
والحق

والحق وانا له وهو لى وانا حبيبه وانا لا انظر قبله بالكونين بكل ما فيها
ثم رأيته يأكل ويشرب وينام ويضحك ويلعب ويرقص ويشتغل
باصناف الطيبات يأكل منها اكلًا لمًّا ويستخف بكلام اهل الزهد
والتقوى ثم يقول الناس بكذبه على الله ودعوه ويقول هو
حبيبى وهو وانا حبيبه والحبيب لا يمنع المراد من الحبيب ولا
يريد تعب الحبيب ولا حزن الحبيب ولا ينبغى للحبيب ان يخاف
للحبيب ويشتغل الحبيب دون الحبيب من صلاة وصيام ولا
للحبيب ان يراد شيئًا عن الحبيب من الخير والشر الذى يقع فى
القلب من قبل الحبيب وغير ذلك خلطوا هذه الكلمات وعهم وينشرونها
بين الجهال واهل الغفلة حتى تعزت قلوب المريدين عنها فانهم
اسوء الناس عند الله حالًا واشدهم نقمة واذلهم جاهًا
ومنزلة واخسهم همة ومروة فلا كثر الله فى الاسلام منهم

بكلام اهل ال

ولا زاد فى الاولياء مثلهم فهؤلاء شر الخليقة بعد الكفار
معاشر اخوانى لا تغتروا بقولهم وادعائهم لان العبد
لا يبلغ الدرجة العليا حتى يقطع مفاوز الدنيا بكل ما فيها
وحتى لا يعبر بحر النفس وتلاطم امواج شهواتها وخفيات آفاتها
واحذروا من غوامض آفات الغرة والحسبان فان اكثر ما تزل
اقدام الصديقين عن منازلهم من الغرة والحسبان واحذروا
دوائر الاغترار بصفاء الاوقات فان تحته غوامض الآفات
وكونوا من موليكم على حذر كما حذركم نفسه فقال الله تعالى
ويحذركم الله نفسه وقال جل ذكره واعلموا ان الله يعلم
ما فى انفسكم فاحذروه واذا كان الامر كذلك فلا ينبغى لاحد
ان يأمن قبل ان يفعل به ما فعل بابليس زينه بانوار عصمته
وهو فى سابق علمه من حقائق اللعنة مشى عليه ما سبق عليه
حتى

حتى ظهر عليه فى العاقبة ما ظهر ولذلك زين بلعام بانوار
ولايته وهو عند الله من حقائق نقمته وغرق قارون
فى بحار نعمه وهو عند الله من حقائق سخطه فكم من نعمة
قطعت صاحبها عن المنعم وهو لا يشعر وكم من صاحب وقت
حسن حجبته رؤية اوقاته عن ربه وهو لا يشعر فان صاحب
الحجاب سكران والسكران لا يجد وجع المصيبة الا عند الافاقة
ومصيبة المحجوب عند الله تعالى لا تنجبر ابدا فمن حلت له
هذه المصيبة قد تلاشت المصائب فى جنبها وما شعرت
فى القرآن وعيدا ولا تهديدا اصعب ولا اعظم من هذه الآية
فى قوله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون يا معاشر اخوانى
لو انكم تركتم الدنيا وافتخرتم بتركها دون الله تعالى فالفخر
بترك الدنيا اعظم من الدنيا الذى تركتم حتى تركتم فلو انكم خفتم

وآمنتم على انكم خفتم فالامن من الخوف اكبر من الفساد التى خفتم
من الفساد فى الاولين حتى خفتم ولو انكم توكلتم على الله ثم اتكلتم
على توكلكم دون الوكيل حتى توكلتم يكون توكلكم شرا فلو انكم احببتم
واستكفيتم بالمحبة دون المحبوب يكون محبتكم اقبح من عدمها
حتى احببتم واستكفيتم فان روية القرب ابعد البعد وروية
الانس فى الانس فى الاولين اعظم الوحشة وروية الذكر فى
الذكر اشد النسيان وروية المعرفة فى المعرفة اكبر الحسبان
والخسران وروية العطاء فى العطاء اعظم الغرة فكم من هالك
بالثناء مفتون بالحسبان مغرور بالستر مستدرج بالنعم محجوب
عن الله تعالى غافل عن فقدان الصدق جاهل بعرفان النفس
يصبح ويمسى على الحسبان نظن انه من الله على شئ حتى اذا جاء
لم يجد شيئا ولم يردون الحسرة والندامة وبدا له من الله
ذى

ذى العرش مالم يكن يحتسب قال الله تعالى وبدا لهم من الله
مالم يكونوا يحتسبون وكم من زينه الله تعالى بلباس اوليآئه
واهل قربه حتى يحسب انه من اهل بساطه ووصلته ويغتر
بصفاء اوقاته فهذا من الله استدراج ثم لم يتركه تعالى فى
الاقبال حتى يرده الى حقائق معلومة وكم ممن كساه الله
لباس اعدآئه واهل بعده ثم لم يتركه الله تعالى فى الاعراض
حتى يرده الى حقايق معلومة لانه هو يبدى ويعيد
يعنى يبدى لاوليآئه صفات اعدآئه وعلى اعدآئه صفات
اوليآئه حتى يعيدهم الى حقائق معلومة وهو فعال لما يريد
باظهار فضله على اهل عدله واظهار عدله فى اهل فضله
فهذا مما يكدر عيش المريدين فى الدار الدنيا وانقت ارادتهم
واوقفهم موقف المدهوشين حتى ذاب كبدهم واصفر الوانهم

وذبلت اطرافهم وتخامرت عقولهم وطارت افئدتهم فى الدار الدنيا
وتعدوا بين الخلائق حتى لايخالطون معهم واكثرهم عن الخالق
مستورون واكثر الناس عن هذا الخطر العظيم غافلون وعن معرفة
آفات الغرة والحسبان جاهلون، صاروا مفتضحين فى جميع
الاصفياء والصديقين، وبقوا فى اودية الخسران ضالون، معاشر
الربانيين ما صيركم تفتخرون بالفقر وفارق عنكم اذ كان الحق
سبحانه وتعالى ما يضركم من الدارين ولاينفعكم الدارين بكل ما فيهما اذا انتم
صرتم بها محجوبين عن ربكم فكم من زينه الله تعالى بلباس العز
والخلة والمنزلة عند الناس حتى يحسب انه من اهل فضله وعنايته
وهذا من الله تعالى استدراج ثم لايتركه فى الاقبال حتى يرده الى
حقائق معلومة فيبعد من الله تعالى ما لم يكن يحتسب وكم من زينه
الله تعالى بانواع العلوم ولطائف الحكمة وفصاحة اللسان

وفتوح

٢٠٩

وفتوح الخواطر بطرائف العبارات حتى يغتر بحسن بلاغته
وكمال فهمه وفطنته ويحتسب انه احاط حتى يرده الى حقائق
معلومة ويبعد وله من الله ما لم يكن يحتسب وكم من داع الى
الله يبعد من الله تعالى وكم من مخوف بالله جريّ على الله
وكم من ذاكر الله ناس لله فيا رب مستهلك بالستر عليه
ويا رب مستدرج بالنعيم عليه ويا رب مفتون بالثناء عليه
فاذا كان كذلك ينبغى للعبد ان لايعتمد بحسن اوقاته
وان كان صافيا وان لايأمن على حسناته وان كان خيلا
فكم من واحد تراه فى زى المريدين وهو فى علم الله من المهجورين
المطرودين فان الله تعالى غيب مكره فى حلمه ولطفه وغيب
خذلانه فى نعمه وانواع مكره وسخطه فى جمل سهوه وقطيعته
فى امهاله معاشر اخوانى لايغرنكم من الله اظهاره ما لكم

لاتعلمون وستره عليكم ما كنتم عليه تجارون وزيادة منه استد
لكم وانتم لا تشعرون قال الله تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون
وقال يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله معاشر المغرورين بالنعم والعصم
لا تغتروا فان تحتها انواع النقم ومن كانت اوقاته معموره وسرائرها
مربوطة لابد له من ظلمة البشرية فالغفلة من حقائق الاولية وله
ايضا لا تغتروا بنعمائه عليكم بعمارة الاوقات فان تحتها اغراض الآفات
وقال بعضهم كلما ظننت اني وجدت فقدت وكلما ظننت اني فقدت فحينئذ
وجدت لا لي منك بد ولا لي معك قرار ولا لي مع سواك انس
فالمستغاث منك اليك تم كتاب معالي الهمم بعون
الله وحسن توفيقه وصلى الله
على خير خلقه محمد وآله
اجمعين
آمين